

التفسير المحرر 17-10117-1.0

قَرُبَ وَقْتُ حِسَابِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَالْحَالُ أَنَّهُمْ فِي غَفْلَةٍ فِي الدُّنْيَا عَنْ ذَلِكَ، وَعَمَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَدْ أَعْرَضُوا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا يَنْتَظِرُهُمْ فِيهَا مِنَ الْحِسَابِ، وَلَمْ يَسْتَعِدُّوا لَهَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ!

مَا يَأْتِي الْكَفَّارَ مِنْ وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ حَدِيثَ النُّزُولِ -لِتَذَكِيرِهِمْ وَمَوْعِظَتِهِمْ- إِلَّا اسْتَمَعُوهُ سَمَاعَ لَعِبٍ وَاسْتِهْزَاءٍ بِهِ، فَلَا يَعتَبِرُونَ، وَلَا يَتَّعِظُونَ بِهِ.

غَارِقَةٌ قُلُوبُهُمْ فِي اللَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ عَنِ الْقُرْآنِ، وَالتَّأْمُلِ وَالتَّفَهُّمِ لِمَعَانِيهِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيمَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ، وَبَالِغِ مُشْرَكُو قُرَيْشٍ فِي إِخْفَاءِ الْمُنَاجَاةِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَلْ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ إِلَّا إِنْسَانٌ مِثْلُكُمْ؟! أَتَقْبَلُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ الْقُرْآنَ، وَتَصَدِّقُونَ بِهِ وَتَتَّبِعُونَهُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ وَتُدْرِكُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ؟!!

قَالَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَفَّارِ الَّذِينَ يَكْذِبُونَهُ: رَبِّي يَعْلَمُ كُلَّ قَوْلٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ سِرًّا كَانَ أَوْ جَهْرًا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يُقَالُ فِيهِمَا، وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ قَوْلٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِأَحْوَالِنَا وَمَا فِي قُلُوبِنَا، وَبِالصَّادِقِ وَالكَاذِبِ مَنَّا.

بَلْ قَالَ الْكَافِرُونَ: الْقُرْآنُ أَشْيَاءٌ مُخْتَلِطَةٌ رَأَاهَا مُحَمَّدٌ فِي مَنَامِهِ وَلَا حَقِيقَةَ لَهَا، بَلْ هُوَ كَذِبٌ افْتَرَاهُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ شَاعِرٌ جَاءَكُمْ بِشِعْرٍ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ! فَلْيَأْتِنَا بِمُعْجَزَةٍ حَسِيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ، كَمَا أَيْدَى اللَّهُ رُسُلَهُ السَّابِقِينَ بِالْمُعْجَزَاتِ؛ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللَّهُ، وَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ.

مَا آمَنَ قَبْلَ كَقَارِ قُرَيْشٍ أَهْلُ الْقُرَى مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ الَّذِينَ اقْتَرَحُوا عَلَى رُسُلِهِمُ الْآيَاتِ، بَلْ كَذَبُوا بِهَا لَمَّا جَاءَتْهُمْ، فَأَهْلَكْنَا تِلْكَ الْقُرَى وَجَمِيعَ أَهْلِهَا، أَفَيُؤْمِنُ كَقَارِ قُرَيْشٍ إِذَا أَنْتُمْ مُعْجَزَةٌ مِمَّا يَقْتَرِحُونَ؟!

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لَأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا رَجُلًا مِنَ الْبَشَرِ مِثْلَهُمْ، فَلَمَّاذَا أَنْكَرُوا إِرْسَالَنَا لَكَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْتَ رَجُلٌ كَسَائِرِ الرُّسُلِ الَّذِينَ أُرْسِلُوا قَبْلَكَ إِلَى أُمَمِهِمْ؟! فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الْمَنْزِلَةِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْبَشَرِ؛ لِيُخْبِرُوكُمْ بِذَلِكَ.

وَمَا جَعَلْنَا الْأَنْبِيَاءَ أَجْسَادًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، بَلْ كَانُوا بَشَرًا مِثْلَكَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَمَا كَانَ الْأَنْبِيَاءُ السَّابِقُونَ خَالِدِينَ فِي الدُّنْيَا لَا يَمُوتُونَ، بَلْ كَانُوا بَشَرًا عَاشُوا ثُمَّ مَاتُوا، وَإِنَّمَا تَمَيَّزُوا عَنِ النَّاسِ بِمَا يَأْتِيهِمْ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الْوَحْيِ.

ثُمَّ صَدَقْنَا رُسُلَنَا مَا وَعَدْنَاهُمْ مِنْ إِهْلَاكِ أَعْدَائِهِمُ الْكَافِرِينَ الْمَكْذِبِينَ، وَنَصَرْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ، فَأَنْجَيْنَا أَوْلَئِكَ الرُّسُلَ وَأَتْبَاعَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِمْ مِنْ أُمَمِهِمْ، وَأَهْلَكْنَا جَمِيعَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ بِاللَّهِ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى تَكْذِيبِ رُسُلِ اللَّهِ.

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ قُرْآنًا فِيهِ تَذَكِيرٌ لَكُمْ بِمَا فِيهِ صِلَا حُكْمٍ، وَفِيهِ شَرْفُكُمْ وَعِزُّكُمْ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ أَنَّ فِي الْقُرْآنِ شَرْفَكُمْ، وَهَدَايَتَكُمْ إِلَى مَا فِيهِ صِلَا حُكْمٍ، فَتُؤْمِنُوا بِهِ، وَتَتَذَكَّرُوهُ وَتَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ؟

وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى الْمَاضِيَةِ أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا الْمُشْرِكِينَ؛ لَكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَوْجَدْنَا بَعْدَ إِهْلَاكِهِمْ أُمَّةً أُخْرَى سِوَاهُمْ. فَلَمَّا رَأَى هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ عَذَابَنَا نَازِلًا بِهِمْ وَوَجَدُوا مَسَّهُ، إِذَا هُمْ يَهْرَبُونَ مِنْ قَرِيَّتِهِمْ مُسْرِعِينَ.

لَا تَرْكُضُوا هَارِبِينَ مِنَ الْعَذَابِ، وَارْجِعُوا إِلَى النَّعَمِ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا، وَبُيُوتِكُمْ الَّتِي سَكَنْتُمْ فِيهَا؛ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ. وَذَلِكَ عَلَى وَجْهِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ.

قَالَ أَوْلَئِكَ الْكَفَّارُ حِينَ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ مُعْتَرِفِينَ بِذُنُوبِهِمْ نَادِمِينَ: يَا وَيْلَنَا! إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا بِكُفْرِنَا بِاللَّهِ، وَتَكْذِيبِنَا رُسُلَهُ.

فَمَا زَالَ الْكَفَّارُ حِينَ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ يُكْرِّرُونَ قَوْلَهُمْ: يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ، حَتَّى أَهْلَكْنَاهُمْ وَاسْتَأْصَلْنَاهُمْ، فَجَعَلْنَاهُمْ مَوْتَى كَالزَّرْعِ الَّذِي اسْتُوْصِلَ، قَدْ خَمَدَتْ مِنْهُمْ الْحَرَكَاتُ، وَسَكَتَتْ مِنْهُمْ الْأَصْوَاتُ.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ عَبَثًا وَبَاطِلًا، بَلْ خَلَقْنَاهَا بِالْحَقِّ لِيَتَفَكَّرَ النَّاسُ فِيهَا، فَيَسْتَدِلُّوا بِهَا عَلَى عَظِيمِ صِفَاتِ خَالِقِهَا، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ، وَأَنَّ الْقَادِرَ عَلَى خَلْقِهَا مَعَ سَعَتِهَا وَعَظَمِهَا قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ مَوْتِهَا.

لَوْ أَرَدْنَا -عَلَى سَبِيلِ الْفَرَضِ وَالتَّقْدِيرِ الْمُحَالِ- أَنْ نَتَّخِذَ زَوْجَةً وَوَلَدًا، لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِنَا، إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا يَلِيقُ بِنَا فِعْلُهُ وَلَا يَنْبَغِي.

وَلَكِنَّا نُلْقِي بِحُجَجِ الْقُرْآنِ عَلَى الْبَاطِلِ، فَيَذْهَبُ وَيَضْمَحِلُّ، وَلَكُمْ الْعَذَابُ وَالْهَلَاكُ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- بِسَبَبِ مَا تَكْذِبُونَ وَتَفْتَرُونَ.

وَاللَّهُ وَحْدَهُ مُلْكُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ، وَكُلُّهُمْ عَبِيدٌ لَهُ، وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَا يَتَكَبَّرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ وَالتَّذَلُّلِ لَهُ، وَلَا يَتَعَبُونَ مِنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَنْقُطِعُونَ عَنْهَا.

يُسَبِّحُونَ اللَّهَ لَيْلًا وَنَهَارًا، لَا يَضَعُفُ نَشَاطُهُمْ عَنْ تَسْبِيحِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ.

هل اتَّخَذَ أولئك المُشْرِكُونَ مَعْبُودَاتٍ مِنَ الْأَرْضِ يُحْيُونَ الْأَمْوَاتَ؟ كَلَّا، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَكَيْفَ جَعَلُوهُمْ لِلَّهِ أُنْدَادًا، وَعَبَدُوهُمْ مَعَهُ؟!

لو كان في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَعْبُودَاتٌ تَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرَ اللَّهِ، لَخَرِبَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَاخْتَلَّتْ نِظَامُهُمَا، وَبَطَلَ الْإِنْتِفَاعُ بِمَا فِيهِمَا، وَهَلْكَ مَا فِيهِمَا مِنَ الْخَلْقِ، فَتَنَزَّهَ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ الْوَاصِفُونَ مِنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَيَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، كَادِّعَائِهِمْ أَنْ لَهُ وَلَدًا وَشَرِيكًا!

لَا سَائِلَ يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا يَفْعَلُ، فَيَقُولُ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ؟ وَلِمَ لَمْ تَفْعَلْ؟ وَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يُمَانِعَهُ أَوْ يُعَارِضَهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلٍ أَوْ بِفِعْلٍ فِيمَا يَشَاءُ فِعْلَهُ بِخَلْقِهِ، وَأَمَّا خَلْفُهُ فَيَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ.

أَمْ اتَّخَذَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَعْبُودَاتٍ؟ قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لَهُمْ: هَاتُوا دَلِيلَكُمْ عَلَى أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى، هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيَّ، وَهَذِهِ كُتُبُ الْأَنْبِيَاءِ الْمَتَّقِمَةِ -كَالتَّوْرَةِ، وَالْإِنْجِيلِ- عَلَى خِلَافِ مَا تَزْعُمُونَ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهَا اتِّخَاذَ آلِهَةٍ مَعَ اللَّهِ؟! أَمْ كُلُّهَا نَاطِقَةٌ بِالتَّوْحِيدِ أَمْرَةً بِهِ؟ بَلْ أَكْثَرُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ الَّذِي أُنْزِلَهُ اللَّهُ؛ فَهُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ، فَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَتَّبِعُونَهُ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- مِنْ رَسُولٍ إِلَى أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا مَعْبُودَ بِحَقِّ إِلَّا أَنَا، فَوَجِدُونِي، وَأَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِي.

وقال المُشْرِكُونَ: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتٍ لَهُ! تَنْزِيهًا لِلَّهِ
أَنْ تَكُونَ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتٍ لَهُ؛ فَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا وَصَفُوا، بَلِ الْمَلَائِكَةُ
عِبَادُ اللَّهِ، خَاضِعُونَ لَهُ، مُشْرَفُونَ مُقَرَّبُونَ عِنْدَهُ.
لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا بِمَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ، وَلَا يَقُولُونَ شَيْئًا لَمْ يَأْذَنْ
لَهُمْ بِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَعْمَلُونَ بِمَا يَأْمُرُهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُطِيعُونَهُ وَلَا
يُخَالِفُونَهُ.

قد أحاط الله تعالى بالملائكة علمًا، فلا يخفى عليه من
أمرهم شيء؛ ولا خروج لهم عن علمه، كما لا خروج لهم عن
أمره وتدبيره، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى الله الشفاعة له، وهم
من أجل خوفهم من الله حذرون من أن يعصوه، فيجل بهم
غضبه وعقابه.

وَمَنْ يَقُلْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ: إِنِّي إِلَهٌ مَعْبُودٌ
مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ فَسُئِلَ بِإِدْخَالِهِ جَهَنَّمَ، وَكَمَا نَجْزِي مَنْ قَالَ ذَلِكَ
نَجْزِي أَيْضًا كُلَّ مَنْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِوَضْعِهِ الْعِبَادَةَ فِي غَيْرِ
مَوْضِعِهَا، فَأَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَبَدَ غَيْرَهُ.

أَوَلَمْ يَنْظُرِ الْكَافَرُ فَيَعْلَمُوا أَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ مُمْصِتَةً لَا تُمْطِرُ،
وَالْأَرْضَ كَانَتْ مُمْصِتَةً لَا تُنْبِثُ، فَصَدَعْنَا السَّمَاءَ فَأَمْطَرْنَا،
وَشَقَقْنَا الْأَرْضَ فَأَنْبَتْنَا؟! وَخَلَقْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ حَيَاةٌ،
أَفَلَا يُؤْمِنُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا يُشَاهِدُونَهُ، فَيَسْتَدِلُّوْا بِهِ عَلَى وُجُودِ
الصَّانِعِ الْفَاعِلِ، الْمُخْتَارِ الْقَادِرِ، وَيُقِرُّوْا بِاسْتِحْقَاقِهِ وَحْدَهُ
لِلْعِبَادَةِ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؟

وجعلنا في الأرض جبالًا ثابتةً؛ لئلا تضطرب الأرض بهم،
وجعلنا فيها طرقًا واسعةً سهلةً؛ لِيَهْتَدُوا إِلَى السَّيْرِ فِي الْأَرْضِ،

وَالْوُصُولِ إِلَى مَطَالِبِهِمْ مِنَ الْبُلْدَانِ، وَلِيَهْتَدُوا إِلَى مَا فِيهَا مِنْ دَلَائِلٍ وَحِدَانِيَّةٍ خَالِقِهَا وَقُدْرَتِهِ، وَتَقْرِئِهِ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ.
وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا لِلْأَرْضِ مَحْفُوظًا مِنَ السُّقُوطِ، وَمَحْفُوظًا مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَهُمْ عَنْ آيَاتِ السَّمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَجَكَمَتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَاسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ- مُعْرِضُونَ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ فِيهَا.
وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَكُلُّ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، يَجْرُونَ بِسُرْعَةٍ كَالسَّابِحِ فِي الْمَاءِ.

وَمَا خَلَدْنَا -يَا مُحَمَّدُ- أَحَدًا مِنَ الْبَشَرِ قَبْلَكَ فِي الدُّنْيَا؛ فَخَلَدِكَ فِيهَا، وَلَا بَدَّلَ لَكَ مِنْ أَنْ تَمُوتَ فِيهَا كَمَا مَاتَ مَنْ قَبْلَكَ، فَهَلْ إِذَا مِتَّ سِيُخَلَّدُ الْمُشْرِكُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ بَعْدِكَ؟! كَلَّا، بَلْ سَيَمُوتُونَ. كُلُّ نَفْسٍ مَخْلُوقَةٌ لَا بَدَأَ أَنْ تَذُوقَ أَلَمَ مُفَارَقَةِ جَسَدِهَا، وَنَحْنَبِرُكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- بِالصَّائِبِ وَالشَّدَّةِ تَارَةً، وَبِالرَّخَاءِ وَالنَّعَمِ تَارَةً أُخْرَى اخْتِبَارًا؛ لِنَنْظُرَ صَبْرَكُمْ وَشُكْرَكُمْ، وَإِلَيْنَا تُرْثَوْنَ لَا إِلَى غَيْرِنَا، فَتُجَازِيَكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ.

وَإِذَا رَأَى -يَا مُحَمَّدُ- كَفَّارُ قُرَيْشٍ، يَسْتَهْزِئُونَ وَيَسْتَخِفُّونَ بِكَ، يَقُولُونَ -اسْتِكَارًا -: أَهَذَا هُوَ الَّذِي يَعِيبُ أَصْنَافَكُمْ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا؟ وَهَؤُلَاءِ الْمُسْتَهْزِئُونَ بِالرَّسُولِ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ الَّذِي يُنْعِمُ عَلَيْهِمْ وَبِمَا يَجِبُ أَنْ يُذَكَّرَ بِهِ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ!

طُبِعَ الْإِنْسَانُ وَرُكِّبَ عَلَى الْعَجَلَةِ، سَأُرِيكُمْ -أَيُّهَا الْمُسْتَعْجِلُونَ بِالْعَذَابِ- آيَاتٍ عَذَابِيَّ وَانْتِقَامِي، وَحُكْمِي وَقُدْرَتِي عَلَى مَنْ كَفَرَ بِي وَعَصَانِي؛ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِالْعَذَابِ!

ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به: متى يأتينا عذاب الله إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من العذاب؟

لو يتيقن الكفار المستعجلون العذاب ماذا لهم من البلاء حين تُلْفَحُ وجوههم النار، فلا يستطيعون في ذلك الوقت أن يكفوا بأنفسهم النار عن وجوههم ولا عن ظهورهم، ولا يجدون لهم ناصراً ينصرهم، ويُنجيهم من عذاب الله؛ لما استعجلوا العذاب، ولتأبوا وآمنوا بالله.

بل تأتيهم النار فجأة، فتصيبهم بالدُعر والخوف والحيرة فلا يدرون ما يصنعون! فلا يستطيعون دفع النار عن أنفسهم حين تبعثهم، ولا هم يمهلون فيؤخر عنهم العذاب ليتوبوا.

ولقد استهزأ كفار الأمم الماضية برسلهم الذين أرسلناهم من قبلك -يا محمد- فاصبر على استهزاء الكافرين كما صبر عليه غيرك من الرسل، فنزل وأحاط بالكافرين الذين سَخَرُوا مِنَ الرُّسُلِ العذاب الذي كانوا يستهزئون به في الدنيا، ويكذبون بوقوعه.

قُلْ -يا محمد- لكفار قومك: مَنْ يَحْرُسُكُمْ وَيَحْفَظُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ؟ بل الكفار معرضون عن ذكر ربهم؛ جهلاً منهم، وسفهاً.

ألهؤلاء الكفار آلهة غيرنا تحفظهم من عذابنا إن أنزلناه بهم؟ لا تقدر آلهتهم المزعومة أن تنصر أنفسهم لضعفها، فكيف تنصر عابديها، وتمنعهم من عذابنا؟! وليس لتلك الآلهة مجير يُجِيرُهُمْ مِنَّا.

ولكنَّ الَّذِي أَوْجَبَ اسْتِمْرَارَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ هُوَ أَنَّنَا مَتَّعْنَا مُشْرِكِي قُرَيْشٍ وَأَبَاءَهُمْ بِالنِّعَمِ، وَأَطَّلْنَا أَعْمَارَهُمْ، فَاعْتَرَوْا بِإِهْمَالِ اللَّهِ لَهُمْ، وَأَعْرَضُوا عَنْ تَدَبُّرِ حُجَجِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحَمَلَهُمْ ذَلِكَ عَلَى الطَّغْيَانِ، وَالِاسْتِمْرَارِ عَلَى بَاطِلِهِمْ، أَوَلَمْ يَرَ الْكُفَّارُ أَنَّا نَنْصُرُ الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْتَحُ لَهُمْ دِيَارَ الْمُشْرِكِينَ أَرْضًا بَعْدَ أَرْضٍ، فَتَنْقُصُ دَارَ الْكُفَّارِ، وَنَزِيدُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ؟ أَفَلَا يَعْتَبِرُونَ بِذَلِكَ فَيَخَافُونَ ظُهُورَهُمْ عَلَى أَرْضِهِمْ، وَقَهْرَهُمْ إِيَّاهُمْ؟! أَفَكُفَّارُ مَكَّةَ هُمُ الْمُتَنَصِّرُونَ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاتِّبَاعِهِ الْمُؤْمِنِينَ؟! بَلِ الْمُشْرِكُونَ هُمُ الْمَغْلُوبُونَ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا أَخَوْفُكُمْ عَذَابَ اللَّهِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يُنْزِلُهُ اللَّهُ عَلَيَّ، وَلَا أَحْذِرُكُمْ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي. وَلَا يُصْغِي الْكُفَّارُ إِلَى الْقُرْآنِ، كَأَنَّهُمْ صُمٌّ لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ حِينَ يُخَوِّفُونَ بِآيَاتِهِ. وَلَئِنْ أَصَابَ الْكَافِرِينَ الْمُسْتَعْجِلِينَ بِالْعَذَابِ أَقَلُّ شَيْءٍ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ -يَا مُحَمَّدُ- لَيَقُولُنَّ نَادِمِينَ مُتَحَسِّرِينَ: يَا وَيْلَنَا، إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا بِعِبَادَتِنَا غَيْرِ اللَّهِ!

وَنُقِيمُ الْمَوَازِينَ الْعَادِلَةَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لَوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عِنْدَ حِسَابِهِمْ، فَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ نَفْسًا بِالنَّقْصِ مِنْ حَسَنَاتِهَا، أَوْ بِمُعَاقِبَتِهَا بِغَيْرِ ذَنْبِهَا، أَوْ بِالزِّيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهَا، وَإِنْ كَانَ الَّذِي لِلْعَبْدِ مِنْ عَمَلِ الْحَسَنَاتِ أَوْ عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ وَزَنَ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ، جِئْنَا بِهَا لِتَوَزَنَ فِي الْمِيزَانِ، وَكَفَى بِنَا عَالِمِينَ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ، حَافِظِينَ لَهَا، مُثَبِّتِينَ لَهَا فِي الْكِتَابِ، عَالِمِينَ بِمَقَادِيرِهَا وَمَقَادِيرِ ثَوَابِهَا وَعِقَابِهَا وَاسْتِحْقَاقِهَا، مُوَصِّلِينَ لِلْعَامِلِينَ جَزَاءَهَا.

ولقد آتينا موسى وهارون ما يفرق به بين الحق والباطل،
وآتيناهما التوراة نوراً في القلب، مضيئة طريق الحق، مبصرة
لمن اتبعها أحكام دينهم، وهي تذكير وموعظة للمؤمنين
الذين يخافون ربهم في غيبهم وخلاوتهم حيث لا يطالع عليهم
أحد من الناس، فيتزكون المحرمات، ويقومون بالواجبات،
مخلصين لله، خائفين من عذابه، وهم من يوم القيامة وأهواله
خائفون حذرون.

وهذا القرآن ذكر يتذكر ويتعظ به المؤمنون، كثير الخيرات
في الدنيا والآخرة، أنزلناه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم،
أفأنتم للقرآن منكرون تزلونه من عند الله وهو في غاية الظهور؟
وكيف تنكرون كونه منزلاً من عنده سبحانه مع اعترافكم بأن
التوراة منزلة من عنده؟!

ولقد آتينا إبراهيم هداية من قبل موسى وهارون، ووقفناه
للحق، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته، من عبادة الأوثان،
وآتيناه رُشداً عظيماً على علم منا بأنه أهل لذلك الرشد.
إذ قال إبراهيم لأبيه آزر وقومه المشركين: ما هذه الأصنام
التي أنتم مقيمون على عبادتها، والحال أنكم مثلتموها ونحتموها
بأيديكم، فكيف تعبدون ما تنحتون؟!

قال المشركون لإبراهيم: وجدنا آباءنا يعبدون هذه الأوثان؛
فنحن نعبدُها مثلهم!

قال إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم جميعاً في ذهاب عن سبيل
الحق واضح بين؛ بعبادتكم جمادات لا تنفع ولا تضر!
قال قوم إبراهيم: أجبتنا -يا إبراهيم- بالحق المطابق للواقع
فيما تقول، أم أن كلامك كلام مازح هازل مستهزئ؟

قال إبراهيم لقومه: بل جئْتُكم بالحق لا بالعِيبِ؛ فربُّكم ربُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي أَوْجَدَهُنَّ وَأَبْدَعَهُنَّ وما فيهنَّ مِن جَمِيعِ
المخلوقاتِ، وأنا على ذلك الأمرِ اليقِينِ مِنَ الشَّاهِدِينَ بِعِلْمٍ وَحُجَّةٍ.
قال إبراهيم: ووالله لأحتالَنَّ على أصنامكم فألحق بها الضَّرَرَ
بعد أن تنصرفوا عنها.

فكسَّر إبراهيم الأصنامَ، وجعلها قِطْعًا مُهَشَّمَةً إِلَّا صَنَمًا
كَبِيرًا عِنْدَهُمْ لَمْ يُكْسِرْهُ؛ لَعَلَّ عَابِدِيهِ يَسْأَلُونَهُ عَمَّنْ كَسَرَ
أَصْنَامَهُمْ، فَيَتَبَيَّنَ لَهُمْ عَجْزُهُ!

فلَمَّا رَأَى الْمُشْرِكُونَ حُطَامَ أَصْنَامِهِمْ قالوا: مَنْ فَعَلَ هَذَا
بِآلِهَتِنَا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ بِصَنِيْعِهِ هَذَا؛ حَيْثُ فَعَلَ بِهَا مَا لَا يَنْبَغِي
لَهُ فِعْلُهُ؛ فَإِنَّ الْإِلَهَةَ حَقُّهَا الْإِكْرَامُ، لَا الْإِهَانَةُ وَالْإِنْتِقَامُ!
قال بعضهم لبعض: سَمِعْنَا شَابًّا يَذْكُرُ أَصْنَامَنَا بِالْعَيْبِ
وَالنَّقْصِ وَالذَّمِّ يُسَمَّى إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ هَذَا شَأْنُهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ هُوَ
الَّذِي كَسَرَهَا.

قالوا فأحضروا إبراهيمَ على مرأى مِنَ النَّاسِ؛ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ عُقُوبَتَنَا لَهُ.

فلَمَّا أَحْضَرَ إِبْرَاهِيمُ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: أَنْتَ الَّذِي حَطَّمْتَ أَصْنَامَنَا
الَّتِي نَعْبُدُهَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟

قال: بل الَّذي فَعَلَ ذَلِكَ هَذَا الصَّنَمُ الْكَبِيرُ، فَاسْأَلُوا الْأَصْنَامَ
الْمَكْسُورَةَ وَالصَّنَمَ الْكَبِيرَ الَّذِي لَمْ يُكْسَرْ؛ لِيُخْبِرُوكُمْ بِمَنْ حَطَّمَهَا
إِنْ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ الْكَلَامَ!

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّكُمْ أَنْتُمْ
الظَّالِمُونَ.

ثم عَادُوا إِلَىٰ جَهْلِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، وَرَجَعُوا عَنِ الْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَإِلَى الْمَكَابِرَةِ وَالْإِنْتِصَارِ لِلْأَصْنَامِ، فَقَالُوا: أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَامَ لَا تَنْطِقُ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنَا بِسُؤَالِهِمْ، مَا تَرِيدُ إِلَّا التَّنَصُّلَ مِنْ جَرِيمَتِكَ!

قال إبراهيمُ مُؤَيَّخًا قَوْمَهُ وَمُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: أَفَتَعْبُدُونَ أَصْنَامًا لَا تَنْفَعُكُمْ شَيْئًا فَتَرْجُوْنَهَا، وَلَا تَضُرُّكُمْ شَيْئًا فَتَخْشَوْنَهَا؟ فَلَمْ تَعْبُدُونَ مَا كَانَ هَكَذَا؟!

فُتِّبًا لَكُمْ وَلِأَصْنَامِكُمْ، وَمَا أَحْسَكُم أَنْتُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ! أَفَلَيْسَتْ لَكُمْ عُقُولٌ تُدْرِكُونَ بِهَا قُبْحَ مَا تَفْعَلُونَ مِنْ عِبَادَتِكُمْ أَصْنَامًا لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ؛ فَتَتْرَكُوا عِبَادَتَهَا، وَتَعْبُدُوا اللَّهَ الَّذِي بِيَدِهِ النَّفْعُ وَالضَّرُّ؟!

قال الْمُشْرِكُونَ: حَرِّقُوا إِبْرَاهِيمَ بِالنَّارِ؛ انْتِقَامًا لِأَصْنَامِكُمْ الْمَحْطَمَةِ إِنْ كُنْتُمْ لَهَا نَاصِرِينَ.

فَأَوْقَدُوا لَهُ نَارًا لِيَحْرِقُوهُ، فَلَمَّا أَلْقَوْا إِبْرَاهِيمَ فِيهَا قُلْنَا لَهَا: يَا نَارُ، كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنْهَا، لَمْ يَنَلْهُ فِيهَا أَدًى، وَلَا أَحْسَّ بِمَكْرِهِ.

وَأَرَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَكِيدُوا بِإِبْرَاهِيمَ فَخَابَ سَعْيُهُمْ، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ مَرَادُهُمْ، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ هُمُ الْمَغْلُوبِينَ الْهَالِكِينَ.

وَنَجَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ وَلُوطًا مِنْ أَعْدَائِهِمَا الْكَافِرِينَ، فَأَخْرَجْنَاهُمَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلنَّاسِ بكَثْرَةِ خَيْرَاتِهَا. وَهِيَ الشَّامُ. وَأَعْطَيْنَا إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ إِسْحَاقَ، وَأَعْطَيْنَاهُ حَفِيدَهُ يَعْقُوبَ بْنَ إِسْحَاقَ زِيَادَةً، وَفَضْلًا مَنًّا، وَكُلًّا مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ جَعَلْنَا طَائِعِينَ لِلَّهِ، مُجْتَنِبِينَ مُحَارِمَ اللَّهِ.

وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمةً يقتدي بهم الناس في طاعة الله، ويدعون بأمرنا إلى عبادة الله، واتباع أمره، واجتناب نهيه، وأوحينا إليهم أن يفعلوا هم وقومهم الطاعات، ويقيموا الصلاة، ويؤثروا الزكاة، وكانوا لنا طائعين بإخلاص وذل وخضوع وخشوع، يفعلون ما يأمرون الناس به، ويجتنبون ما ينهونهم عنه.

وآتينا لوطاً النبوة، وآتيناه علماً عظيماً في شريعته، وفهماً ومعرفةً بأمر دينه، وما يقع به الحكم بين الخصوم، ونجينا لوطاً من أهل القرية الذين كانوا يفعلون الأفعال الشنيعة القبيحة؛ كالكفر، وإتيان الذكور، وغير ذلك، إنهم كانوا أصحاب عمل سيئ، خارجين عن طاعة الله.

وأدخلنا لوطاً في رحمته بإنجائنا له من عذاب قومه في الدنيا، وبإدخاله الجنة في الآخرة؛ لأنه من الأنبياء الطائعين لله، العاملين بوحى الله، المستقيمين على أمر الله ونهيه.

واذكر -يا محمد- نوحاً حين دعا ربه -من قبل إبراهيم ولوط- أن ينصره على قومه الكافرين، وأن يهلكهم، فاستجبنا دُعاءه، فأغرقنا قومه الكافرين، ونجينا مع أهله المؤمنين من الغم الشديد.

وحميناه من قومه الذين كذبوا بحجبتنا الدالة على رسالته، فلا ينالونه بسوء، إنهم كانوا قومًا يسيئون أعمالهم بالشرك والكفر، وتكذيب الرسول، ومعصية الله، فأغرقناهم كلهم؛ كبيرهم وصغيرهم.

واذكر -يا محمد- خبر داود وسليمان حين يحكما في شأن الزرع أو الغرس الذي انتشرت فيه غنم قوم آخرين في الليل،

فَرَعَتْ فِي الْبُسْتَانِ وَأَكَلَتْ مَا فِي أَشْجَارِهِ، وَكُنَّا لِحُكْمِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَالْمُتَحَاكِمِينَ إِلَيْهِمَا عَالِمِينَ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ.
فَفَهَّمْنَا تِلْكَ الْقَضِيَّةَ سُلَيْمَانَ، وَكُلًّا مِنْ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ آتَيْنَا
نُبُوَّةً، وَعِلْمًا بِدِينِ اللَّهِ وَأَحْكَامِهِ، وَذَلَّلْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ وَالطَّيْرَ
يُسَبِّحْنَ بِمِثْلِ تَسْبِيحِهِ إِذَا سَبَّحَ؛ مُعْجِزَةً لَهُ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ ذَلِكَ.
وَعَلَّمْنَا دَاوُدَ كَيْفِيَّةَ صِنَاعَةِ الدُّرُوعِ لَكُمْ؛ لِتَقِيَكُمْ فِي الْقِتَالِ مِنْ
سِلَاحِ أَعْدَائِكُمْ، فَهَلْ أَنْتُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- شَاكِرُو اللَّهِ عَلَى تَيْسِيرِهِ
لَكُمْ هَذِهِ النِّعْمَةَ؟

وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ، وَالْحَالُ أَنَّهُا شَدِيدَةُ الْهُبوبِ، تَجْرِي
بِأَمْرِ سُلَيْمَانَ طَائِعَةً لَهُ، فَتَعُودُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا -
وَهِيَ الشَّامُ-، وَكُنَّا بِجَمِيعِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَمْرِ سُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِ
عَالِمِينَ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا شَيْءٌ، عَالِمِينَ بِتَنْبِيْرِهِ.

وَسَخَّرْنَا لِسُلَيْمَانَ مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ فِي الْبَحْرِ؛
لِيَسْتَخْرِجُوا اللَّالِيَّ وَالْجَوَاهِرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَيَعْمَلُ الشَّيَاطِينُ
لِسُلَيْمَانَ أَعْمَالًا أُخْرَى غَيْرَ الْغُوصِ، كَالْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ، وَكُنَّا
لِلشَّيَاطِينِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ لِسُلَيْمَانَ حَافِظِينَ، فَلَا يَتَمَرَّدُونَ عَلَى
طَاعَتِهِ، أَوْ يُبَدِّلُونَ أَوْ يُغَيِّرُونَ، أَوْ يُوجَدُ مِنْهُمْ فَسَادٌ فِيمَا هُمْ
مُسَخَّرُونَ فِيهِ، وَلَا يَتَعَرَّضُونَ لَهُ بِسُوءٍ وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

وَاذْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- أَيُّوبَ حِينَ نَادَى رَبَّهُ بِأَنِّي أَصَابَنِي الضَّرَرُ
وَالْبَلَاءُ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مَنْ يَرْحَمُ، فَارْحَمْنِي بِكَشْفِ ضُرِّي.

فَاسْتَجَبْنَا دُعَاءَ أَيُّوبَ، فَأَرْزَلْنَا مَا حَلَّ بِهِ مِنْ ضَرَرٍ وَبَلَاءٍ،
وَآتَيْنَا أَيُّوبَ أَهْلَهُ الَّذِينَ فَقَدَهُمْ، وَرَزَقْنَاهُ مَعَهُمْ آخَرِينَ مِثْلَ عَدَدِهِمْ
زِيَادَةً عَلَى ذَلِكَ؛ رَحْمَةً مِنَّا بِهِ، وَتَذْكِيرًا لِلَّذِينَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ؛
لِيَعْتَبِرُوا بِقِصَّةِ أَيُّوبَ، وَيَصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ.

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدُ- إِسْمَاعِيلَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، وَإِدْرِيسَ، وَذَا الْكِفْلِ،
كُلٌّ مِنْهُمْ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْإِبتِلَاءَاتِ، وَعَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ،
وَاجْتِنَابِ السَّيِّئَاتِ.

وَأَدْخَلْنَا إِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ فِي رَحْمَتِنَا؛ لِأَنَّهُمْ مِنَ
الْكَامِلِينَ فِي الصَّلَاحِ، الْجَامِعِينَ لَخِصَالِ الْخَيْرِ، الْمُطِيعِينَ لِلَّهِ.
واذْكُرْ -يا مُحَمَّدُ- يُونُسَ صَاحِبَ الْحُوتِ حِينَ ذَهَبَ غَاضِبًا
عَلَى قَوْمِهِ مِنْ أَجْلِ رَبِّهِ؛ لِكُفْرِهِمْ بِهِ، وَعِصْيَانِهِمْ لَهُ، بَعْدَمَا
دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، فَظَنَّ أَنَّنَا لَنْ نُصِيقَ عَلَيْهِ، فَكَانَ مَا كَانَ مِنَ الْمُسَاهَمَةِ
وَالْتِقَامِ الْحُوتِ، فَنَادَى وَهُوَ فِي الظُّلُمَاتِ - ظُلْمَةِ الْبَحْرِ، وَظُلْمَةِ
الَّيْلِ، وَظُلْمَةِ بَطْنِ الْحُوتِ- فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْزِلْهُكَ عَنْ
جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، إِنِّي كُنْتُ ظَالِمًا لِنَفْسِي بِمَعْصِيَتِكَ حِينَ
خَرَجْتُ مِنْ قَوْمِي.

فَأَجَبْنَا دُعَاءَ يُونُسَ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَالشَّدَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا،
فَأَخْرَجْنَاهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ، وَكَمَا نَجَّيْنَا يُونُسَ مِنْ غَمِّهِ حِينَ
دَعَانَا، كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غُومِهِمْ وَكُرْبِهِمْ إِذَا دَعَوْنَا
بِإِخْلَاصٍ.

واذْكُرْ -يا مُحَمَّدُ- زَكَرِيَّا حِينَ نَادَى رَبَّهُ، فَقَالَ: رَبِّ، لَا
تَتْرُكْنِي وَحِيدًا بَلَا وَلَدٍ، فَارْزُقْنِي وَارثًا مِنْ نَسْلِي يَقُومَ بِالَّذِينَ مِنْ
بَعْدِي، وَأَنْتَ خَيْرُ الْبَاقِينَ بَعْدَ مَوْتِ الْعِبَادِ، وَخَيْرُ مَنْ يَخْلُقُنِي
بَخِيرٍ.

فَاسْتَجَبْنَا لَزَكَرِيَّا دُعَاءَهُ، وَرَزَقْنَاهُ وَلَدًا اسْمُهُ يَحْيَى، وَأَصْلَحْنَا
لَزَكَرِيَّا أَمْرَهُ الْعَقِيمَ، فَجَعَلْنَاهَا وَلَوْدًا صَالِحَةً لِلْحَمْلِ، إِنَّ زَكَرِيَّا
وَزَوْجَهُ وَيَحْيَى كَانُوا يُبَادِرُونَ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَمَا يُقَرَّبُهُمْ

إِلَيْنَا، وَكَانُوا يَدْعُونَنَا؛ رَغْبَةً مِنْهُمْ فِي ثَوَابِنَا وَرَحْمَتِنَا، وَرَهْبَةً مِنْ عَذَابِنَا، وَكَانُوا لَنَا مُتَوَاضِعِينَ خَاضِعِينَ، مُتَذَلِّلِينَ.

وَادْكُرْ -يَا مُحَمَّدُ- مَرِيَمَ الَّتِي حَفِظْتَ فَرْجَهَا مِنَ الْحَرَامِ، فَأَمَرْنَا جَبْرِيْلَ أَنْ يَنْفُخَ الرُّوْحَ فِي جَيْبِ دَرْعِهَا، فَبَلَغَتْ النَّفْخَةُ فَرْجَهَا، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى، وَجَعَلْنَا مَرِيَمَ وَابْنَهَا عَلَامَةً عَظِيمَةً لِلنَّاسِ تَذَلُّهُمَ عَلَى اللَّهِ، وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

إِنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ أَيُّهَا النَّاسُ هِيَ مِلَّتُكُمْ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُحَافِظُوا عَلَى حُدُودِهَا، وَتُرَاعَوْا حَقُوقُهَا، وَأَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا، لَا تَنْحَرِفُونَ عَنْهَا، مِلَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَنَا -لَا غَيْرِي- مَنْ خَلَقْتُكُمْ وَرَبِّبْتُكُمْ بِعَمِّي، فَمَا دَامَ أَنَّ الرَّبَّ وَاحِدٌ وَالدِّينَ وَاحِدٌ، فَأَفْرُدُونِي بِالْعِبَادَةِ، وَلَا تُشْرِكُوا بِي، وَلَا تَخْتَلِفُوا فِي ذَلِكَ.

وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي دِينِهِمُ الَّذِي شَرَعَهُ اللَّهُ لَهُمْ، فَصَارُوا فِيهِ فِرْقًا وَأَحْزَابًا شَتَى، كُلُّ أَوْلَئِكَ الْمُتَفَرِّقِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي دِينِ اللَّهِ صَائِرُونَ إِلَيْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنَحْكُمُ بَيْنَهُمْ وَنُجَازِيهِمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ؛ إِنَّ خَيْرًا فَخِيرًا، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَالْحَالُ أَنَّهُ مَوْحَدٌ لِلَّهِ تَعَالَى مُخْلِصٌ لَهُ فِي عَمَلِهِ؛ فَلَنْ يَجْعَدَ اللَّهُ عَمَلَهُ وَلَنْ يُضَيِّعَهُ، بَلْ يُثَبِّتُهُ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ نَكْتُبُ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ كُلَّهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا؛ لِنُطْلِعَهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَنُجَازِيَهُ عَلَى مَا قَدَّمَ.

وَمُمْتَنِعٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلُكُنَاهَا أَنْ يَرْجِعَ أَهْلُهَا. حَتَّى إِذَا فُتِحَ السَّدُّ الَّذِي حُبِسَ وَرَاءَهُ قَبِيلُنَا يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، فَيَخْرَجُونَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، يَمْشُونَ مُسْرِعِينَ لِلْإِفْسَادِ فِي الْأَرْضِ.

وَاقْتَرَبَ مَجِيءُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدَ اللَّهُ بِاتِّبَانِهِ وَأَنْ يَبْعَثَ فِيهِ عِبَادَهُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَتْ تِلْكَ الْأَهْوَالُ وَالْفِتَنُ وَالْمِحَنُ الْوَاقِعَةُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَقَدْ اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ، فَإِذَا أَبْصَارُ الْكُفَّارِ مَفْتُوحَةٌ لَا تَطْرَفُ؛ مِنْ شِدَّةِ مَا يَرَوْنَهُ مِنْ أَهْوَالٍ وَأُمُورٍ عَظِيمٍ، يَقُولُونَ: يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا الْيَوْمِ، بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ لَأَنْفُسِنَا بِكُفْرِنَا بِرَبِّنَا، وَمَعْصِيَتِنَا لَهُ، وَإِعْرَاضِنَا عَنْ آيَاتِهِ، وَعِبَادَتِنَا غَيْرِهِ.

يُقَالُ لَهُمْ: إِنَّكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَقَدْ جَهِتُمْ، أَنْتُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- دَاخِلُونَ جَهَنَّمَ مَعَ آلِهَتِكُمُ الَّتِي كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

لَوْ كَانَتْ تِلْكَ الْأَلِهَةُ الْمَعْبُودَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً حَقًّا كَمَا يَزْعُمُ عَابِدُوهَا، لَمَّا دَخَلَ الْعَابِدُونَ وَالْمَعْبُودُونَ جَهَنَّمَ، وَلَمَنْعَتْ تِلْكَ الْأَلِهَةُ عَابِدِيهَا مِنْ دُخُولِهَا، وَكُلٌّ مِنَ الْأَلِهَةِ الْبَاطِلَةِ وَعَابِدِيهَا فِي جَهَنَّمَ مَآكِثُونَ.

لِلْمُشْرِكِينَ وَالْهَتَمِ فِي جَهَنَّمَ زَفِيرٌ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ، وَهُمْ فِي جَهَنَّمَ صُمٌّ لَا يَسْمَعُونَ شَيْئًا.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ سَبَقَ فِي عِلْمِنَا مِنْذُ الْأَزَلِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ، مُبْعَدُونَ عَنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَدْخُلُونَهَا، وَلَا يَقْرَبُونَ مِنْهَا، وَإِنْ عَبْدَهُمْ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ بَعِيرٍ رِضَاهُمْ وَاخْتِيَارَهُمْ.

لَا يَسْمَعُ الْمُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْجَنَّةِ صَوْتَ جَهَنَّمَ وَإِحْرَاقِهَا الْأَجْسَادِ؛ لِإِعْذَابِهِمُ الشَّدِيدِ عَنْهَا، وَالْمُؤْمِنُونَ فِيمَا تَسْتَنْهِيهِ أَنْفُسُهُمْ مِنْ نَعِيمِ الْجَنَّةِ مَآكِثُونَ، لَا يَخَافُونَ زَوَالَ عَنْهُ، وَلَا انْتِقَالَ مِنْهُ.

لَا يَحْزَنُ الْمُؤْمِنِينَ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ النَّفْخِ فِي الصُّورِ لِلْحَشْرِ، وَيَسْتَقْبِلُ الْمَلَائِكَةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُهَيِّئُونَهُمْ وَيُبَشِّرُونَهُمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَنَيْلِ كَرَامَتِهِ؛ يَقُولُونَ لَهُمْ: هَذَا الْيَوْمُ الْحَاضِرُ هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كُنْتُمْ فِي الدُّنْيَا تُوعَدُونَ أَنْ يُثَبِّتَكُمُ اللَّهُ فِيهِ عَلَى قِيَامِكُمْ بِطَاعَتِهِ.

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي نَطْوِي فِيهِ السَّمَوَاتِ كَمَا نَطْوِي الصَّحِيفَةَ عَلَى الْكَلَامِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا، كَمَا قَدَرْنَا عَلَى إِبْجَادِ الْخَلْقِ أَوَّلَ مَرَّةٍ، كَذَلِكَ نَقْدِرُ عَلَى إِعَادَتِهِمْ، فَنُبْعَثُهُمْ أَحْيَاءَ مِنْ قُبُورِهِمْ، وَنَحْشُرُهُمْ عَلَى مِثْلِ هَيْئَتِهِمْ حِينَ خَرَجُوا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ؛ خُفَاءً، عُرَاءً، غَيْرَ مَخْتُونِينَ، وَعَدْنَاكُمْ ذَلِكَ وَعَدًا حَقًّا عَلَيْنَا أَنْ نَفِي بِهِ، فَمِنْ شَأْنِنَا أَنْنَا نَفْعَلُ مَا نُرِيدُ، وَنَسْجُدُ مَا وَعَدْنَا بِهِ لَا مَحَالَةَ.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ الْمَنْزِلَةَ مِنَ السَّمَاءِ بَعْدَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ مَا هُوَ كَائِنٌ أَنَّ الْأَرْضَ يَرُئُهَا عِبَادِيَ الْعَامِلُونَ بِطَاعَتِي، الَّذِينَ قَامُوا بِالْمَأْمُورَاتِ، وَاجْتَنَبُوا الْمَنْهَيَّاتِ.

إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الَّذِي أَنْزَلْنَاهُ عَلَى نَبِيِّنَا لَكَفَايَةً -يَتَبَلَّغُونَ بِهِ فِي الْوُصُولِ إِلَى بُغْيَتِهِمْ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ- لِقَوْمٍ دَيَّدْتُهُمْ وَشَأْنُهُمُ الْقِيَامُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ بِمَا شَرَعَ.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ -يَا مُحَمَّدُ- إِلَّا رَحْمَةً لِّجَمِيعِ الْخَلْقِ.
قُلْ -يَا مُحَمَّدُ- لِلْمُشْرِكِينَ: إِنَّمَا يُوحِي اللَّهُ إِلَيَّ أَنَّمَا مَعْبُودُكُمْ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْتَسْلِمُونَ لِتَوْحِيدِ اللَّهِ، مُنْقَادُونَ لِطَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ؟

فَإِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقُلْ لَهُمْ -يَا مُحَمَّدٌ: أَعْلَمْتُكُمْ بِبِرَائَتِي مِنْكُمْ وَبِرَاءَتِكُمْ مِنِّي، وَأَنَّهُ لَا صُلْحَ بَيْنِنَا، وَلَا سِلْمَ، فَاسْتَوَيْنَا جَمِيعُنَا فِي الْعِلْمِ بِذَلِكَ، وَمَا أَدْرِي أَقْرَبُ زَمَنُ وَقُوعِ مَا وَعَدَكُمْ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، أَمْ هُوَ بَعِيدٌ.

لَكِنَّ عَذَابَكُمْ وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَجْهَرُ بِهِ عِبَادُهُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَهُ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- وَسَيُجَازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ عَاجِلًا أَوْ آجَلًا.

قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لَهُمْ: فَإِنْ تَأَخَّرَ عَذَابُكُمْ، فَمَا أَدْرِي سَبَبَ ذَلِكَ وَحِكْمَتَهُ، لَكِنْ لَعَلَّهُ امْتِحَانٌ وَابْتِلَاءٌ لَكُمْ، فَتَزِدَادُ سَيِّئَاتِكُمْ، وَتَتَمَتُّعُونَ قَلِيلًا فِي حَيَاتِكُمْ إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ، ثُمَّ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ.

قَالَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ دَاعِيًا رَبَّهُ: يَا رَبِّ، أَفْعَلْ مَا تَنْصُرُ بِهِ عِبَادَكَ، وَتَخْذُلْ بِهِ أَعْدَاءَكَ، وَرَبُّنَا الْمُنْتَصِفُ بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ هُوَ وَحْدَهُ الَّذِي نَطْلُبُ مِنْهُ الْعَوْنَ عَلَيْكُمْ -أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ- عَلَى مَا تَقْتَرُونَهُ عَلَيْهِ وَعَلَى رَسُولِهِ مِنَ الْوَصْفِ الْبَاطِلِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْفُؤْا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ، وَالَّذِي يَرْزُقُكُمْ وَيَذِيرُ أُمُورَكُمْ -بِامْتِنَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ-؛ لِأَنَّ أَمَامَكُمْ أَهْوَالَ عَظِيمَةٍ، يَحْصُلُ مِنْهَا رُعبٌ هَائِلٌ، وَفَرَعٌ كَبِيرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِتَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ.

يَوْمَ تَرَوْنَ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ -أَيُّهَا النَّاسُ- تَسْتَعِزُّ كُلُّ مُرْضِعَةٍ جَنِينَهَا عَمَّنْ تُرْضِعُهُ، وَتَعْفَلُ عَنْهُ حَائِرَةً مَدْهُوشَةً، وَتُسْقِطُ كُلُّ امْرَأَةٍ حَامِلٍ جَنِينَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا قَبْلَ تَمَامِهِ، وَتَرَى النَّاسَ تَحْسِبُهُمْ سُكَارَى قَدْ دَهَشَتْ عُقُولُهُمْ، وَغَابَتْ أَذْهَانُهُمْ، وَلَيْسُوا بِسُكَارَى حَقِيقَةٍ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ! وَلَكِنَّ الَّذِي أَوْجَبَ لَهُمْ هَذِهِ

الحالة خَوْفُهُمْ مِنْ شِدَّةِ عَذَابِ اللَّهِ الَّذِي رَأَوْهُ، فَأَذْهَبَ هَوْلَهُ
عُقُولَهُمْ، وَأَفْرَعَ قُلُوبَهُمْ، وَمَلَأَهَا قَرَعًا وَرُعَابًا!

وَمِنَ النَّاسِ صِنْفٌ يُجَادِلُ فِي شَأْنِ اللَّهِ وَفِي دِينِهِ بَجْهَلٍ، مِنْ
غَيْرِ عِلْمٍ صَحِيحٍ؛ لِإِحْقَاقِ الْبَاطِلِ وَإِبْطَالِ الْحَقِّ، فَيُنَكِّرُ وَحِدَانِيَّةَ
اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَيُكَذِّبُ مَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ،
وَيَتَّبِعُ فِي جِدَالِهِ فِي اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ كُلَّ شَيْطَانٍ عَاتٍ طَاغٍ مِنْ
شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، مُتَجَرِّدٍ مِنَ الْخَيْرِ، مُتَمَرِّدٍ عَلَى اللَّهِ.

قَضَى اللَّهُ عَلَى الشَّيْطَانِ الْمُتَمَرِّدِ وَقَدَّرَ أَنْ مَنْ اتَّخَذَهُ وَلِيًّا
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ وَاتَّبَعَهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُضِلُّهُ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْحَقِّ،
وَيُدْخِلُهُ إِلَى طَرِيقِ النَّارِ الْمُوقَدَةِ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهَا، فَيَسُوقُهُ إِلَى عَذَابِهَا
بِمَا يُزَيِّنُّهُ لَهُ مِنَ الْبَاطِلِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ قُدْرَتِي عَلَى بَعْثِكُمْ بَعْدَ
مَوْتِكُمْ، فَتَذَكَّرُوا أَنَّنِي خَلَقْتُ أَبَاكُمْ آدَمَ مِنْ تَرَابٍ؛ فَالَّذِي قَدَرَ عَلَى
خَلْقِكُمْ أَوَّلًا قَادِرٌ عَلَى خَلْقِكُمْ ثَانِيًّا، ثُمَّ خَلَقْنَاكُمْ -يَا بَنِي آدَمَ- مِنْ
مَنِيِّ، ثُمَّ مِنْ قِطْعَةٍ دِمٍ حَمْرَاءَ جَامِدَةٍ تَعْلُقُ بِرَحِمِ الْمَرَأَةِ، ثُمَّ مِنْ
قِطْعَةٍ لَحْمٍ صَغِيرَةٍ بِمِقْدَارِ مَا يُمَضْغُ، مَخْلُقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُقَةٍ،
لِنَعْرِفَكُم بَابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ، وَنُظْهِرَ لَكُمْ قُدْرَتَنَا، وَنُثَبِّتَ فِي أَرْحَامِ
الْأُمّهَاتِ مَا نَشَاءُ إِبْقَاءَهُ مِنَ الْأَجْنَةِ إِلَى الْوَقْتِ الَّذِي قَدَرْنَا
لِلْوِلَادَةِ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ -إِذَا بَلَغْتُمْ الْأَجَلَ الَّذِي
قَدَرْنَا لَخُرُوجِكُمْ مِنْهَا- أَطْفَالًا، ثُمَّ لِنَبْلُغُوا بِالتَّدرِيجِ كَمَالَ قُوَّتِكُمْ
وَعُقُولِكُمْ، وَمِنْكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مَنْ يَمُوتُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ،
وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَخَّرُ مَوْتُهُ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ أَحْسَنَ الْعُمُرِ وَأَدْوَنَهُ، فَيَصِيرُ
ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ وَعَقْلِهِ، لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا فَهْمَ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَوِيًّا ذَا
فَهْمٍ وَعِلْمٍ بِالْأَشْيَاءِ! وَتَرَى الْأَرْضَ بِإِسْةٍ قَاحِلَةٍ سَاكِئَةً سَكُونًا

الأموات، لا نبات فيها ولا زرع، فإذا أنزلنا عليها الماء تحرّكت بالنبات، وارتفعت وانتفعت، وأخرجت بذلك الماء من كل صنف حسن يسر الناظرين من أصناف النباتات والزرور والثمار.

ذلك الذي ذكرنا لكم -أيها الناس- من أطوار خلقكم، وإحياء الأرض بالماء بعد موتها؛ لتعلموا بأن الذي قدر على فعل ذلك هو الحق الذي لا شك فيه -الذي يستحق العبادَة وحده-، ولتعلموا أنه قادر على إحياء الموتى، وأنه على كل شيء قادر لا يعجزه شيء من البعث وغيره.

ولتوقنوا بأن القيامة قادمة، لا شك ولا اشتباه في وقوعها، وأن الله يحيي الموتى من قبورهم، فيخرجهم إلى موقف الحساب؛ ليجازيهم بأعمالهم؛ خيرها، وشرها.

ومن الناس من يجادل رسل الله وأتباعهم في شأن الله وتوحيده وقدرته بجهل، من غير علم صحيح، ويجادل في الله بمجرّد رأيه وهواه، بغير دالة صحيحة يهنّدي بها للصواب، ولا كتاب إلهي نير بين الحجة يُنير عن حجّته ورأيه، وإنما يقول ما يقول من الجهل بمجرّد ظنونه.

يجادل بالباطل لاويًا جانبه وعُنقه؛ إعراضًا وتكبرًا عن قبول الحق، واحتقارًا لداعيه؛ ليصدّ عن دين الله وشرعه، لذلك المُجادل في الله بالباطل ذلٌّ ومهانة في الدنيا، ونذيقه يوم القيامة ألم عذاب النار المحرقة.

يقال له حين يذوق عذاب النار يوم القيامة: هذا العذاب الواقع بك بسبب ما قدّمته يداك في الدنيا من الكفر والمعاصي، وفعلنا

ذلك؛ لأنَّ الله ليس بِذِي ظُلْمٍ لِلْعِبَادِ، فلم يَكُنْ لِيُعَذِّبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ اقْتَرَفُوهُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى شَكٍّ؛ فلم يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ عَلَى نَحْوِ يَقِينِيٍّ، بل هو في شَكٍّ وَقَلَقٍ وَتَرَدُّدٍ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ -كَصِحَّةٍ، وَرَخَاءٍ مَعِيشَةٍ، وَرِزْقٍ هَنِيءٍ- ولم يَقَعْ لَهُ مِنَ الْمَكَارِهِ شَيْءٌ؛ رَضِيَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتَقَرَّ وَثَبَتَ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ مِحْنَةٌ وَإِنْ قَلَّتْ -كِبَلَاءٌ فِي بَدَنِهِ أَوْ أَهْلِهِ، أَوْ ضَيْقٌ فِي مَعِيشَتِهِ- ارْتَدَّ فَرَجَعَ إِلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ، خَسِرَ هَذَا الْمُنْقَلِبُ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ دُنْيَاهُ، فلم يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ مِنْهَا، وَحُرِمَ الطَّمَآنِينَةُ وَثَنَاءُ الْمُسْلِمِينَ وَمُؤَالَاتِهِمْ، وَخَسِرَ خَيْرَ آخِرَتِهِ بِدُخُولِ النَّارِ، وَالْحِرْمَانِ مِنَ الْجَنَّةِ! وتلكِ الْخَسَارَةُ لِذُنُوبِهِ وَأَخْرَاهُ هِيَ الْخَسَارَةُ الْعَظِيمَةُ النَّبِيَّةُ الَّتِي لَا تَخْفَى.

يَدْعُو ذَلِكَ الْمُرْتَدُّ عَنْ دِينِ اللَّهِ إِلَهَةً سِوَى اللَّهِ لَا تَضُرُّهُ وَلَا تَنْفَعُهُ بِذَاتِهَا مُطْلَقًا بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ وَجْهِهِ الضَّرُّ أَوْ النَّفْعُ، ذَلِكَ هُوَ الذَّهَابُ الْبَعِيدُ عَنِ الْحَقِّ.

يَدْعُو الْمُشْرِكُ مَخْلُوقًا ضَرَرَ عِبَادَتِهِ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهَا، لَيْسَ النَّاصِرُ هَذَا الْمَعْبُودُ مِنْ دُونِ اللَّهِ! وَلَيْسَ الْمُعَاشِرُ وَالْمَصَاحِبُ هُوَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْصُرُ عَابِدَهُ، وَلَا يَجْلِبُ لَهُ خَيْرًا وَلَا نَفْعًا!

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِكُلِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ -جَنَاتٍ تَجْرِي الْأَنْهَارُ مِنْ تَحْتِ أَشْجَارِهَا وَقُصُورِهَا، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا يُرِيدُ فِعْلَهُ دُونَ

مُمانِع، وَيَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمَا يَشَاءُ، وَمِنْ ذَلِكَ إِيصَالُ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلَيْهَا.

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَاصِرٍ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَلْيُعَلِّقْ حَبْلًا فِي سَقْفِ بَيْتِهِ، وَيَسُدَّهُ فِي عُنُقِهِ، ثُمَّ لِيَخْتَنِقْ بِالْحَبْلِ، فَلْيَنْظُرْ حِينَهَا: هَلْ يُذْهِبَنَّ صَنِيعُهُ هَذَا مَا يَغِيظُهُ؟! كَلَّا، لَا يُغْنِي ذَلِكَ عَنْهُ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يَقَعُ ضَرَرُ كَيْدِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ، وَنَاصِرُ نَبِيِّهِ.

وَكَمَا بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ السَّابِقَةَ وَأَوْضَحْنَاهَا، كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ كُلَّهُ آيَاتٍ وَاضِحَاتٍ الدَّلَالَةِ، وَلِأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلَى الْحَقِّ مَنْ يَرِيدُ هِدَايَتَهُ، أَنْزَلَهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَهُودَ، وَالصَّابِّينَ، وَالتَّوَّابِينَ، وَالْمَجُوسَ، وَالْمُشْرِكِينَ بِاللَّهِ- إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ؛ فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ الْجَنَّةَ، وَيَدْخُلُ الْكَافِرِينَ النَّارَ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ مِنَ الْجِنِّ وَغَيْرِهِمْ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ فِي الْأَرْضِ؟ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ- وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ- يَسْجُدُونَ لِلَّهِ طَوْعًا مُخْتَارِينَ عَابِدِينَ، وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ- وَهُمْ الْكَافِرُونَ- وَجَبَ عَلَيْهِمْ عَذَابُ اللَّهِ؛ لَا مِتْنَاعَ لَهُمْ عَنِ السُّجُودِ لِلَّهِ عَنْ طَوَاعِيَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَمَنْ يُهْنَهُ اللَّهُ فَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يُكْرِمَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ فِي خَلْقِهِ مَا يَشَاءُ. هَذَانِ فَرِيقَانِ اخْتَلَفَا فِي شَأْنِ رَبِّهِمْ وَتَوْحِيدِهِ وَدِينِهِ، وَتَعَادَوْا وَتَحَارَبُوا: الْمُؤْمِنُونَ وَالْكَافِرُونَ؛ فَالْمُؤْمِنُونَ يُرِيدُونَ نُصْرَةَ

دين الله، وإعلاء كلمته، والكافرون يريدون إطفاء نور الإيمان، وقمع الحق، وإظهار الباطل، فالذين كفروا بالله فصلت لهم ثياب من نار، فيعظم العذاب أجسادهم، ويصب على رؤوسهم الماء المغلي الشدي الحرارة.

يذاب بالحميم المصبوب فوق رؤوس الكفار ما في بطونهم من اللحم والشحم، والأمعاء والأحشاء،-، والجلود. وللكفار في جهنم مرازب ومطارق من حديد، تضربهم وتدفعهم بها خزنة النار من الملائكة.

كلما أراد هؤلاء الكفار أن يخرجوا من النار بسبب ما نالهم فيها من غم، أعيذوا في النار مرة أخرى، ويقال لهم: نوقوا عذاب النار المحرق للقلوب والأبدان.

إن الله يدخل الذين آمنوا بكل ما وجب عليهم الإيمان به، وعملوا الأعمال الصالحة- جنات تجري الأنهار من تحت أشجارها وقصورها، يحلي الله المؤمنين في الجنة- رجالاً ونساء- أساور من ذهب، ويحلون فيها أولوا، ولباسهم في الجنة ثياب من حرير.

وهدى الله المؤمنين إلى الأقوال الطيبة، وهداهم إلى طريق الله المحمود في أسمائه وصفاته.

إن الذين كفروا بالله، ويمنعون الناس من الدخول في دينه، ومن المسجد الحرام -الذي جعلناه للمؤمنين كافة سواء المقيم منهم فيه والقادم إليه، فهم يستنون في تعظيمه وأحقية أداء العبادات وإقامة الشعائر فيه- نذيقهم من عذاب مؤلم موجع، ومن يهمل أن يميل ويحيد في المسجد الحرام عن الحق، وينحرف

عن الاستقامة بارتكاب ظلم - وهو قاصدٌ لذلك - نُذِفَهُ مِنْ عَذَابِ مُؤَلِّمٍ مُوَجِّعٍ.

واذكر - يا مُحَمَّدُ - حِينَ هَيَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْكَعْبَةِ، وَأَنْزَلْنَاهُ فِيهِ، وَعَرَّفْنَاهُ بِالْمَوْضِعِ الَّذِي يَبْنِي فِيهِ الْكَعْبَةَ، وَقُلْنَا لَهُ: لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا فِي عِبَادَتِهِ، وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ حَوْلَهُ، وَلِلْقَائِمِينَ فِي صَلَاتِهِمْ، وَالرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ فِي صَلَاتِهِمْ عِنْدَهُ، بِنَتْنِيزِهِ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَالْبِدْعِ وَالْمَعَاصِي، وَالْقَبَائِحِ وَجَمِيعِ النَّجَاسَاتِ الْحَسِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ.

وَأَعْلَمْ - يَا إِبْرَاهِيمَ - النَّاسَ بِوُجُوبِ الْحَجِّ عَلَيْهِمْ، وَنَادٍ فِيهِمْ أَنْ حُجُّوا أَيُّهَا النَّاسُ بَيْتَ اللَّهِ؛ يَأْتُوا إِلَيْكَ مُشَاءً عَلَى أَرْجُلِهِمْ، مُلَبِّينَ نِدَاءَكَ، حَاجِّينَ بَيْتَ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَرَاكِبِينَ عَلَى الرِّوَاحِلِ الَّتِي هَزَلْتَ أَبْدَانُهَا مِنْ طَوْلِ السَّفَرِ وَمَشَقَّتِهِ، الَّتِي تَأْتِي مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ وَمَكَانٍ وَاسِعٍ بَعِيدٍ.

لِيَحْضُرَ الْحُجَّاجُ، فَيَحْصِلُوا مَصَالِحَ كَثِيرَةً لَهُمْ مِنْ أُمُورِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ، وَلِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ عَشْرٍ ذِي الْحِجَّةِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، فَكُلُوا مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي ذَكَرْتُمْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَأَطْعَمُوا مِنْهَا مَنْ سَاءَتْ حَالُهُ فَاشْتَدَّ بِهِ الْفَقْرُ.

ثُمَّ لِيُكْمِلَ الْحُجَّاجُ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ مَنَاسِكِ حَجِّهِمْ؛ كَرَمِي الْجِمَارِ، وَحَلَقِ الرُّؤُوسِ، وَبِزِيلُوا وَسَخَ الْأَبْدَانِ، وَلْيُؤَفِّوا بِمَا أَوْجَبُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَجِّ، وَلْيَطْفُوا طَوَافَ الْإِفَاضَةِ بِبَيْتِ اللَّهِ الْعَتِيقِ؛ الْكَعْبَةِ.

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ، فَيَجْتَنِبَ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِاجْتِنَابِهِ؛ تَعْظِيمًا مِنْهُ لِحُدُودِ اللَّهِ أَنْ يُوَاقِعَهَا أَوْ يَسْتَحِلَّهَا - فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ

رَبِّهِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَأَخِرَتِهِ، وَأَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ وَالْعَنَمَ أَنْ تَأْكُلُوها إِذَا ذَكَّيْتُمُوها، إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ تَحْرِيمُهُ فِي الْقُرْآنِ -كَالْمَيْتَةِ، وَالدَّمِ، وَلَحْمِ الْخَنَزِيرِ، وَمَا أَهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ-، فَاجْتَنِبُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ؛ فَإِنَّهَا قَدَرٌ، وَاجْتَنِبُوا كُلَّ قَوْلٍ بَاطِلٍ مَائِلٍ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْإِسْتِقَامَةِ.

مُسْتَقِيمِينَ لِلَّهِ عَلَى إِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ لَهُ، وَإِفْرَادِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ، مَائِلِينَ عَنِ الْبَاطِلِ إِلَى الْحَقِّ، مُقْبِلِينَ عَلَى اللَّهِ، مُعْرِضِينَ عَنِ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ، فَمَثَلُهُ فِي هَلَاكِهِ وَضَلَالِهِ عَنِ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَبُعْدِهِ مِنْ رَبِّهِ؛ كَمَنْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، فَتَمَرَّقَ جَسَدُهُ، فَتَقَطَّعَهُ الثُّسُورُ سَرِيعًا، وَتَسْتَلْبُ لَحْمَهُ، فَتَأْكُلُهُ وَيَتَفَرَّقُ فِي حَوَاصِلِهَا، أَوْ تُلْقِي الرِّيحُ أَوْصَالَهُ الْمُتَمَرِّقَةَ فِي مَوْضِعٍ بَعِيدٍ الْعُمُقِ؛ لِشِدَّةِ هُبُوبِهَا.

ذَلِكَ، وَمَنْ يُعَظِّمُ أَعْلَامَ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، وَمِنْهَا الْهَدَايَا، بِإِجْلَالِهَا وَالْقِيَامَ بِهَا، وَاسْتِيسْمَانِهَا وَتَكْمِيلِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ؛ فَإِنَّهُ يُبْرِهُنُ بِذَلِكَ عَلَى تَقْوَاهُ وَصِحَّةِ إِيْمَانِهِ؛ فَتَعْظِيمُهَا تَابِعٌ لَتَعْظِيمِ اللَّهِ وَإِجْلَالِهِ، وَتَعْظِيمُهَا مِنْ فِعْلِ الْمُتَّقِينَ أَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْمُخْلِصَةِ الْوَجِلَةِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.

لَكُمْ -أَيُّهَا الْحُجَّاجُ- فِي الْبُذْنِ وَالْهَدَايَا مَنَافِعُ؛ مِنْ لَبْنِهَا وَصُوفِهَا وَأُوبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَرُكُوبِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِلَى وَقْتِ نَحْرِهَا، ثُمَّ يَحِلُّ نَحْرُ تِلْكَ الْبُذْنِ عِنْدَ بُلُوغِهَا الْبَيْتَ الْعَتِيقِ.

وَكُلُّ جَمَاعَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ شَرَعْنَا لَهُمُ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ بِالذَّبْحِ وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ؛ لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَحْدَهُ عِنْدَ نَحْرِ مَا رَزَقَهُمْ مِنَ الْإِبِلِ أَوِ الْبَقَرِ أَوِ الْعَنَمِ، وَيَجْعَلُوا نَسِيكَتَهُمْ لَوَجْهِهِ، فَمَعْبُودُكُمْ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ مَعْبُودٌ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ فَلَهُ وَحْدَهُ أَخْلَصُوا

عِبَادَاتِكُمْ، وَاِنْقَادُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَاخْضَعُوا لِحُكْمِهِ، وَبَشِّرْ -يَا مُحَمَّدٌ- بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْخَاضِعِينَ الْخَاشِعِينَ الْمُتَوَاضِعِينَ الْمُطْمَئِنِّينَ لِلَّهِ، الْمُتَنَبِّهِينَ إِلَيْهِ.

الَّذِينَ خَشَعَتْ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ، وَخَضَعَتْ مِنْ خَشْيَتِهِ؛ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ وَسَخَطِهِ، وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَصْنَافِ الْبَلَاءِ وَأَنْوَاعِ الْأَذَى وَالْمَصَائِبِ، وَالْمُؤَدِّينَ الصَّلَاةَ كَامِلَةً مُسْتَقِيمَةً ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَيُحَافِظُونَ عَلَى أَوْقَاتِهَا وَوَجَابَاتِهَا، وَيُؤَدُّونَهَا عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَيُنْفِقُونَ مِمَّا آتَيْنَاهُمْ مِنْ رِزْقٍ.

وَالْإِبِلَ الضِّخَامَ الْعِظَامَ الْأَجْسَامَ -وَفِي حُكْمِهَا الْبَقَرُ- جَعَلْنَاهَا لَكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مِنْ أَعْلَامِ دِينِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي يُتَعَبَّدُ وَيُقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَشَرَعَ سَوْفَهَا إِلَى النَّبِيِّ، وَتَقْلِيدُهَا وَإِشْعَارُهَا، وَتَعْظِيمُهَا، وَنَحْرُهَا وَالْإِطْعَامُ مِنْهَا، لَكُمْ فِي الْإِبِلِ مَنَافِعُ فِي الدُّنْيَا، وَأَجْرٌ فِي الْآخِرَةِ، فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عِنْدَ نَحْرِكِ الْإِبِلِ، وَهِيَ قَائِمَةٌ قَدْ صُفِّتَ قَوَائِمُهَا، فَإِذَا سَقَطَتِ الْإِبِلُ بَعْدَ نَحْرِهَا، وَوَقَعَتْ جُنُوبُهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَكُلُوا مِنْ لَحْمِهَا، وَأَطْعِمُوا الْفَقِيرَ السَّائِلَ بِتَذَلُّلٍ، وَأَطْعِمُوا مِنْهَا مَنْ يَأْتِي مُتَعَرِّضًا لِلنَّوَالِ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ وَلَا سُؤَالٍ، مِثْلَ ذَلِكَ التَّسْخِيرِ الْعَجِيبِ الَّذِي تُشَاهِدُونَهُ ذَلَّلْنَا لَكُمْ الْإِبِلَ -أَيُّهَا النَّاسُ- وَمَكَّنَّاكُمْ مِنَ التَّصَرُّفِ فِيهَا، فَتَنْتَفِعُونَ بِرُكُوبِهَا وَالشَّرْبِ وَالْأَكْلِ مِنْهَا؛ لِتَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ تَسْخِيرِهَا لَكُمْ.

لَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ لَحُومِ بُدْنِكُمْ، وَلَا دِمَائِهَا الْمُهْرَاقَةِ، وَلَمْ يَشْرَعْ ذَبْحُهَا لَذَلِكَ؛ فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَعَنْهَا، وَلَكِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَيَبْلُغُهُ: تَقْوَاكُمْ وَإِخْلَاصُكُمْ الْعَمَلَ لَهُ وَحَدَهُ، فَيَتَقَبَّلُهُ مِنْكُمْ،

وَيُثَبِّتُكُمْ عَلَيْهِ إِنْ اتَّقَيْتُمُوهُ فِيمَا تَذَبَّحُونَهُ مِنَ الْبُذْنِ، وَأَرَدْتُمْ بِذَلِكَ وَجْهَهُ وَحْدَهُ، وَعَظَّمْتُمْ بِهَا حُرْمَاتِهِ، وَعَمِلْتُمْ فِيهَا بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ، هَكَذَا سَخَّرَ اللَّهُ لَكُمْ الْبُذْنَ؛ كَيْ تَعْرِفُوا عَظَمَتَهُ بِاِقْتِدَارِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، فَتُوجِّدُوهُ بِالْكَبَرِيَاءِ؛ شُكْرًا لَهُ فِي مَقَابِلِ تَوْفِيقِهِ إِيَّاكُمْ لِدِينِكُمْ، وَلِلنَّاسِ فِي حُجَّتِكُمْ، وَبَشَرًا -يَا مُحَمَّدُ- الْمُحْسِنِينَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَفِي مُعَامَلَتِهِمْ لِعِبَادِ اللَّهِ، بِالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ شَرَّ الْكُفَّارِ وَكَيِّدَ الْمُشْرِكِينَ عَنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، فَيُنَجِّيهِمْ، وَيَحْفَظُهُمْ، وَيَنْصُرُهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مَنْ يَخُونُ أَمَانَتَهُ فَيَبْخَسُ حَقُّوقَهُ، وَيُخَالِفُ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَيَخُونُ عِبَادَهُ فَيَنْقُضُ الْعَهْدَ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَيَجْحَدُ نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَا يَشْكُرُهُ عَلَيْهَا.

أَنْزَلَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَهُمْ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ لَهُمْ، بِمُحَارَبَتِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَأَذْيَتِهِمْ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أَخْرَجَهُمُ الْكُفَّارُ ظُلْمًا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ يُوجِبُ ذَلِكَ، وَمَا كَانَ لَهُمْ ذَنْبٌ يَنْقُمُ عَلَيْهِمْ أَعْدَاؤُهُمْ بِسَبَبِهِ إِلَّا أَنْهُمْ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ! وَلَوْ لَا كَفَّ اللَّهُ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُجَاهِدِينَ الْمُؤَحِّدِينَ، وَشَرَّعَهُ جِهَادَهُمْ، لَهَدَمَ الْمُشْرِكُونَ الْمَعَابِدَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي لِلرُّهْبَانِ، وَلَهَدَمُوا مَعَابِدَ كَبِيرَةً لِلنَّصَارَى، وَكَنَائِسَ لِلْيَهُودِ، وَمَسَاجِدَ لِلْمُسْلِمِينَ، يُذَكِّرُ فِيهَا اسْمَ اللَّهِ كَثِيرًا، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ؛ لَتَكُونَ كَلِمَتُهُ هِيَ الْغَلِيَا، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ كَامِلٌ الْقُوَّةَ، عَزِيزٌ مُنِيعٌ، غَالِبٌ لَا يُغْلَبُ وَلَا يُقْهَرُ.

الَّذِينَ إِنْ وَطَّنَا لَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَقَهَرُوا الْمُشْرِكِينَ، وَصَارَتْ لَهُمُ السُّلْطَةُ وَالْغَلْبَةُ وَالْمُلْكُ، أَقَامُوا الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا

وشروطها وواجباتها، وأعطوا زكاة الأموال لمُستَحِقِّها، وأمروا النَّاسَ بالمعروفِ، ونهَوْهم عن المنكرِ، وإلى الله وَحْدَهُ تَرْجِعُ أُمُورُ الْخَلْقِ، وَتَصِيرُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

وإن يُكَذِّبَكَ -يا مُحَمَّدُ- قَوْمُكَ الْمُشْرِكُونَ على ما جَنَّتْهم به مِنَ الْحَقِّ، فَذَلِكَ سَنَّةُ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ الْمَكْذِبَةِ لِرُسُلِ اللَّهِ، وَلَسْتُ بِأَوَّلِ رَسُولٍ كُذِّبَ؛ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَ قَوْمِكَ قَوْمُ نُوحٍ، وَعَادُ: قَوْمُ هُودٍ، وَثَمُودُ: قَوْمُ صَالِحٍ.

وَكَذَّبَ قَبْلَ قَوْمِكَ -يا مُحَمَّدُ- قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْمُ لُوطٍ. وَكَذَّبَ قَوْمُ شُعَيْبٍ، وَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ رَسُولَهُمْ مُوسَى، فَأَمَهَلْتُ الْكَافِرِينَ فَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ لَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ بِالْعَذَابِ فِي الْوَقْتِ الْمَحْدَدِ لِإِهْلَاكِهِمْ، فَانْظُرْ -يا مُحَمَّدُ- كَيْفَ كَانَتْ مُعَاقِبَتِي لَهُمْ؟ فَلْيَعْتَبِرْ بِذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ مِنْ قَوْمِكَ أَنْ يُصِيبَهُمْ مَا أَصَابَ أَوْلَئِكَ!

فكَثِيرٌ مِنَ الْفُرَى أَهْلَكْنَا أَهْلَهَا بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ؛ بِسَبَبِ ظُلْمِهِمْ، فَصَارَتْ بُيُوتُهُمْ مُهَدِّمَةً قَدْ سَقَطَتْ جُدْرَانُهَا فَوْقَ سُقُوفِهَا، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَبَارِ الصَّالِحَةِ لِلانْتِفَاعِ عَطَّلْنَاهَا بِإِهْلَاكِ أَهْلِهَا وَوَارِثِيهَا، فَلَا يُسْتَقَى مِنْهَا مَعَ بَقَاءِ بَنَائِهَا وَفُورَانِ مَائِهَا! وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ الْمَجْصَصَةِ الْمَنِيْعَةِ الْمُحْكَمَةِ خَلَّتْ مِنْ سَكَّانِهَا بَعْدَ هَلَاكِهِمْ، فَغَدَّتْ مُوحِشَةً، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ بِأَهْلِهَا عَامِرَةً وَمُؤْنَسَةً!

أَفَلَمْ يَسِرْ كَفَّارٌ قَرِيشٍ فِي الْأَرْضِ؛ لِيَنْظُرُوا آثَارَ الْأُمَمِ الْمَكْذِبَةِ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَيَتَسَبَّبَ عَنْ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ وَاعِيَةٌ يَعْقِلُونَ بِهَا مَا رَأَوْهُ فِي الْآيَاتِ الْمَرِيئَاتِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقُدْرَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَيَتَفَكَّرُوا وَيَتَعْظُوا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمْ مَا أَصَابَ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ؟! أَوْ تَكُونَ لَهُمْ آذَانٌ وَاعِيَةٌ

يَسْمَعُونَ بِهَا سَمَاعٌ تَذَبُّرٌ وَعِظَةٌ، فَيُمَيِّزُوا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَيَعْرِفُوا أَخْبَارَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَسَبَبَ هَلَاكِهِمْ، فَيَحْذَرُوا أَنْ يُصِيبَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ؟! فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى أَبْصَارُ الْكُفَّارِ؛ فَأَعْيُنُهُمْ مُبْصِرَةٌ يَرَوْنَ بِهَا الْمَرْنِيَّاتِ، وَلَكِنَّ قُلُوبَهُمْ هِيَ الَّتِي تَعْمَى عَنِ رُؤْيَا الْحَقَائِقِ وَإِدْرَاكِهَا، وَالْإِنْتِفَاعِ بِهَا، فَهَذَا هُوَ الْعَمَى الْمُهِلِكُ لِصَاحِبِهِ.

وَيَسْتَعْجِلُ الْكُفَّارُ -يَا مُحَمَّدُ- بِنُزُولِ عَذَابِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ جَزَاءً شَرِكِهِمْ بِهِ، وَاللَّهُ لَنْ يُخْلِفَ مَا وَعَدَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ حَلِيمٌ لَا يَعْجَلُ بِهِ؛ فَإِنَّ مِقْدَارَ أَلْفِ سَنَةٍ عِنْدَ خَلْقِهِ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ عِنْدَهُ، فَالطَّوِيلُ عِنْدَهُمْ مِنَ الزَّمَنِ قَصِيرٌ عِنْدَهُ، وَلَيْسَ عَذَابُهُمْ عِنْدَهُ بِبَعِيدٍ، فَلَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ لَا مَحَالَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ الْمُدَدَ الطَّوِيلَةَ وَلَا يُهِمِّلُ.

وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى أَمَهَلَتْ أَهْلَهَا، وَلَمْ أُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، مَعَ ظُلْمِهِمُ بِالشِّرْكِ وَالْعِصْيَانِ، ثُمَّ عَاقَبْتُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَمَرَّجَعْتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَيَّ، فَأَعَذَّبْتُهُمْ فِيهَا أَيْضًا؛ فَلْيَحْذَرُوا هَؤُلَاءِ الظَّالِمُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَغْتَرُّوا بِإِمهَالِ اللَّهِ لَهُمْ.

قُلْ -يَا مُحَمَّدُ-: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ وَاضِحُ النَّذَارَةِ، أَخَوْفُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ، وَلَا أَمْلِكُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ عَنْ وَقْتِهِ وَلَا تَأْخِيرَهُ، وَلَيْسَ عَلَيَّ حِسَابُكُمْ.

فَالَّذِينَ آمَنُوا بِكُلِّ مَا وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ؛ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ سِتْرٌ لذنُوبِهِمْ، وَتَجَاوُزٌ عَنِ مُوَآخَذَتِهِمْ بِهَا، وَلَهُمْ رِزْقٌ حَسَنٌ.

وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي إِبْطَالِ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَرَدَّهَا، مُعَانِدِينَ
وَمُشَاقِّينَ لِلَّهِ، وَظَائِينَ أَنَّهُمْ يُعْجِزُونَ اللَّهَ فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِمْ، أَوْ
يَغْلِبُونَ أَوْلِيَائِهِ فَلَا يَنْصُرُهُمْ؛ أُولَئِكَ فِي الْآخِرَةِ سُكَّانُ النَّارِ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ -يَا مُحَمَّدُ- مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَلَا
وَقَرَأَ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي قِرَاءَتِهِ الشُّبُهَةَ وَالْوَسْوَاسَ؛ لِيَصُدَّ النَّاسَ
عَنِ اتِّبَاعِ مَا يَقْرَأُ وَيَتْلُوهُ، فَيُذْهِبُ اللَّهُ وَيُزِيلُ مَا يُلْقِيهِ الشَّيْطَانُ
مِنَ الْبَاطِلِ فِي قِرَاءَةِ نَبِيِّهِ، وَلَا يَتَأَثَّرُ بِبَاطِلِهِ الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ يُخَلِّصُ
اللَّهُ آيَاتِ كِتَابِهِ مِنَ الْبَاطِلِ الَّذِي أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ، وَيَحْفَظُهَا وَيُبَيِّنُهَا،
وَيُظْهِرُ أَنَّهَا وَحْيٌ مُنَزَّلٌ مِنْهُ بِحَقِّ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا
يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِمَا يُوحِيهِ إِلَى نَبِيِّهِ،
وَبَقْصِدِ الشَّيْطَانِ؛ حَكِيمٌ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ، يَضَعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي
مَوْضِعِهِ الصَّحِيحِ اللَّائِقِ بِهِ.

مِنْ كَمَالِ حِكْمَتِهِ سُبْحَانَهُ أَنْ مَكَّنَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْإِلْقَاءِ
الْمَذْكُورِ؛ لِيَجْعَلَ إِقْلَاءَهُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَنِفَاقٌ،
وَلِأَصْحَابِ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي لَا تَلِينُ لِلْحَقِّ، وَلَا تَرْجِعُ إِلَى
الصَّوَابِ، وَهُمْ الْمَشْرُكُونَ، وَإِنَّ هَذَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ لَفِي خِلَافٍ
وَمُعَانَدَةٍ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَضَلَالٍ بَعِيدٍ عَنِ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ؛ بِسَبَبِ
ظُلْمِهِمْ.

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ الْعِلْمَ النَّافِعَ الَّذِي يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ
وَالْبَاطِلِ أَنْ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ لَا غَيْرُهُ مِمَّا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ،
فِيُؤْمِنُوا بِالْقُرْآنِ، وَيَعْمَلُوا بِهِ، وَيَزِدَادُوا هُدًى، فَتَخَضَعَ وَتَلِينُ
قُلُوبُهُمْ لَهُ، وَتَطْمَئِنُّ بِهِ، وَتُذْعِنُ إِلَيْهِ وَتَقَرُّ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمُرْشِدُ
الْمُؤْمِنِينَ إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ، وَمُؤَفِّقُهُمْ لِاتِّبَاعِهِ وَاجْتِنَابِ الْبَاطِلِ.

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لَا عَرَضَ لَهُمْ
وَعِنَادُهُمْ، وَهُمْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ فَجَاءَةً، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ لَا خَيْرَ فِيهِ لَهُمْ وَهُوَ يَوْمُ
الْقِيَامَةِ.

السُّلْطَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلَّهِ وَخَذَهُ، لَا مُنَازَعَ لَهُ فِيهِ، يَحْكُمُ فِيهِ
بِالْعَدْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَةَ؛ يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، يَتَنَعَّمُونَ فِيهَا
بَارِوَاهِمَ وَأَبْدَانِهِمْ.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِ الْقُرْآنِ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابٌ مُخِزٌّ وَمُذِلٌّ فِي النَّارِ.

وَالَّذِينَ فَارَقُوا دِيَارَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ؛ طَلَبًا لِرِضَا اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، ثُمَّ
قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا دُونَ قَتْلِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَيُثْبِتُهُمْ رِزْقًا كَرِيمًا، وَإِنَّ اللَّهَ
لَهُوَ أَفْضَلُ مَنْ يَرْزُقُ عِبَادَهُ، وَيُعْطِيهِمْ مِنْ فَضْلِهِ.

لَيُدْخِلَنَّ اللَّهُ الْمُهَاجِرِينَ -الَّذِينَ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا فِي سَبِيلِهِ- الْجَنَّةَ،
فَيَرْضَوْنَ بِذَلِكَ، وَلَا يَبْغُونَ بِهَا بَدَلًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ،
وَمِنْ ذَلِكَ عِلْمُهُ بِنَبِيَّةٍ مَنْ يُهَاجِرُ وَيُجَاهِدُ، حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ
مَنْ عَصَاهُ مِنْ خَلْقِهِ، بَلْ يُوَاصِلُ لَهُمْ مِنْ رِزْقِهِ، وَيَمْنَحُهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ.

الْأَمْرُ ذَلِكَ الَّذِي قَصَصْنَا عَلَيْكُمْ، وَمَنْ عَاقَبَ مِنَ الْعِبَادِ مَنْ
اعْتَدَى عَلَيْهِ بِمِثْلِ اعْتِدَائِهِ بِالْعَدْلِ دُونَ زِيَادَةٍ، ثُمَّ ظَلِمَ بِالْمُعَاوَدَةِ
إِلَى عُقُوبَتِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُهُ عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، إِنَّ اللَّهَ كَثِيرُ الْعَفْوِ
وَالْغُفْرَانِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

ذلك النَّصْرُ الْمَذْكُورُ كَائِنْ بِسَبَبٍ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ لَا يَعْجُزُ
عَنْ نُصْرَةٍ مِّنْ شَاءَ نُصْرَتَهُ، وَمِنْ عِلَامَاتِ قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ أَنَّهُ
يُدْخِلُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَيُدْخِلُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، فَيَزِيدُ فِي أَحَدِهِمَا
مَا يَنْقُصُهُ مِنَ الْآخَرِ، وَبِالْعَكْسِ؛ فَتَارَةً يَطُولُ النَّهَارُ وَيَقْصُرُ
اللَّيْلُ، وَتَارَةً يَكُونُ بَعْكَسَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ أَيْضًا بِسَبَبٍ أَنَّهُ سَمِيعٌ لِّمَا
يَقُولُ عِبَادُهُ، بَصِيرٌ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، حَافِظٌ لِّكُلِّ ذَلِكَ، ثُمَّ
يَجَازِيهِمْ جَمِيعًا عَلَى مَا قَالُوا وَمَا عَمِلُوا.

ذَلِكَ الْفِعْلُ الَّذِي فَعَلَ -مِنْ إِبِلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَإِبِلَاجِ
النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ-، وَاتَّصَفَهُ سُبْحَانَهُ بِكَمَالِ الْقُدْرَةِ وَتَمَامِ الْعِلْمِ؛
بِسَبَبٍ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ الثَّابِتُ الْإِلَهِيَّةُ، الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ
وَحْدَهُ دُونَ مَا سِوَاهُ، وَأَنَّ مَا يَدْعُوهُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ
الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا: هُوَ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَنْفَعُ وَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ،
وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ وَقَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ، الْكَبِيرُ فِي
ذَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَصِيرُ بِهِ الْأَرْضُ
الْيَاسِبَةُ خَضِرَاءَ بِالنَّبَاتِ، إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِأَرْزَاقِ عِبَادِهِ
وَاسْتَخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ، خَبِيرٌ يَعْلَمُ خَفَايَا كُلِّ شَيْءٍ، وَمِنْ
ذَلِكَ أَنَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْحَبَّةُ الَّتِي فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَيَسُوقُ إِلَيْهَا
الْمَاءَ بِلُطْفِهِ لِيُنْبِتَ بِهَا.

لِلَّهِ وَحْدَهُ مُلْكُ جَمِيعِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمُلْكُ جَمِيعِ مَا فِي
الْأَرْضِ مِنَ الْخَلْقِ؛ فَكُلُّهُمْ عِبِيدُهُ، وَتَحْتَ تَدْبِيرِهِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي
ذَلِكَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، الْمَحْمُودُ فِي أَسْمَائِهِ
وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَ لَكُمْ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَسَهَّلَ لَكُمْ أَنْوَاعَ
الْإِنْتِفَاعِ بِهَا، وَذَلَّلَ لَكُمْ السُّفْنَ تَجْرِي فِي الْبِحَارِ بِقُدْرَتِهِ وَتَيْسِيرِهِ،
وَيُمَسِّكُ اللَّهُ السَّمَاءَ بِقُدْرَتِهِ؛ كَيْ لَا تَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ فَيَهْلِكَ مَنْ
فِيهَا، إِلَّا إِذَا أَذِنَ اللَّهُ لَهَا بِالْوُقُوعِ، فَتَقَعُ بِإِذْنِهِ، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَدُوٌّ
رَافَةٌ وَرَحْمَةٌ، وَمِنْ رَافَتِهِ وَرَحْمَتِهِ بِهِمْ سَخَّرَ لَهُمْ جَمِيعَ تِلْكَ
الْأَشْيَاءِ.

وَاللَّهُ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ وَأَوْجَدَكُمْ مِنَ الْعَدَمِ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عِنْدَ
انْقِضَاءِ آجَالِكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، إِنَّ
الْإِنْسَانَ لَجَحُودٌ لِآيَاتِ اللَّهِ فَلَا يُؤْمِنُ بِهَا، جَحُودٌ لِنِعْمِ اللَّهِ فَلَا
يَشْكُرُ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلَا يُخْلِصُ عِبَادَتَهُ لَهُ وَحْدَهُ!

لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مُؤْمِنَةٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ وَضَعْنَا شَرِيعَةً، هُمْ عَامِلُونَ
بِهَا، فَلَا يُجَادِلُوكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فِيمَا شَرَعَ اللَّهُ لَكَ، وَادْعُ إِلَى عِبَادَةِ
رَبِّكَ وَحْدَهُ، وَالْإِيمَانَ بِهِ، وَاتَّبَاعِ شَرِيعَتِهِ، دَاوِمٌ عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ
وَلَا يَتَّبِعُوكَ عَنْهَا شَيْءٌ؛ فَإِنَّكَ عَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ لَا عِوَجَ فِيهِ،
مُوصِلٌ إِلَى الْمَقْصُودِ.

وَإِنْ جَادَلَكَ كُفَّارُ قَوْمِكَ -يَا مُحَمَّدٌ- فَقُلْ لَهُمْ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا
تَعْمَلُونَهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَفَوِّضْ
أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَلَا تُجَادِلْهُمْ.

اللَّهُ يَقْضِي وَيَفْصِلُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ، وَيَتَّبِعُ حَبِيبُكَ الْمُحَقُّ مِنَ الْمُبْطِلِ.

أَلَمْ تَعْلَمْ -يَا مُحَمَّدٌ- أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ، وَيَعْلَمُ أَعْمَالَ عِبَادِهِ وَاخْتِلَافَهُمْ، فَمُجَازِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ؟
إِنَّ عِلْمَ اللَّهِ ذَلِكَ قَدْ أَثْبَتَهُ اللَّهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، إِنَّ إِحَاطَةَ عِلْمِ
اللَّهِ بِجَمِيعِ ذَلِكَ وَكِتَابَتَهُ فِي كِتَابٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ عَلَى اللَّهِ.

وَيَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَصْنَامًا لَمْ يُنَزَّلِ اللَّهُ عَلَى رُسُلِهِ حُجَّةً عَلَى صِحَّةِ عِبَادَتِهَا! وَلَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ عِلْمٌ يَقِينٌ بِجَوَازِ فَعْلِهِمْ هَذَا، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا تَقْلِيدًا لِأَبَائِهِمْ! وَمَا لِلْمُشْرِكِينَ بِسَبَبٍ ظَلَمَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُمْ وَيُنْقِذُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ عِقَابَهُ.

وَإِذَا تُتْلَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ آيَاتُ الْقُرْآنِ -وَالْحَالُ أَنَّهَا وَاضِحَاتُ الْحَجَجِ وَالذَّلَالَةِ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَصِدْقُ رَسُولِهِ- تَتَبَيَّنُ فِي وُجُوهِهِمْ الْغَمُّ وَالْكَرَاهِيَّةُ، وَالْعُبُوسَ وَالْعُضْبَ! يَكَاذُ الْمُشْرِكُونَ يَبْطِشُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَيَبْسُطُونَ إِلَيْهِمْ أَيْدِيَهُمْ وَالسِّنَنَّهُمْ بِالسُّوءِ، قُلْ -يَا مُحَمَّدٌ- لِلْمُشْرِكِينَ: أَفَأَخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكُمْ وَأَكْرَهُ إِلَيْكُمْ مِمَّا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ؟ هُوَ النَّارُ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ الْكَفَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! وَبُنَسَ الْمَكَانُ الَّذِي يَصِيرُ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: النَّارُ! يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلْإِلَهِةِ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْمُشْرِكُونَ، فَأَنْصِتُوا لِهَذَا الْمَثَلِ، وَتَفَهَّمُوا مَا احْتَوَى عَلَيْهِ. إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَغَيْرِهَا، لَنْ يَقْدِرُوا عَلَى خَلْقِ ذُبَابَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَوْ تَعَاوَنُوا جَمِيعًا عَلَى ذَلِكَ، وَإِنْ يَخْتَطِفِ الذُّبَابُ وَيَخْتَلِسُ مِنَ الْأَصْنَامِ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهَا مِنْ طَيِّبٍ أَوْ مِمَّا يُجْعَلُ لَهَا مِنْ طَعَامٍ وَنَحْوِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْأَصْنَامُ أَنْ تَرُدَّ مَا اسْتَلَبَهُ الذُّبَابُ، مَعَ ضَعْفِهِ وَحَقَارَتِهِ! ضَعُفَتِ الْإِلَهِةُ الْمَعْبُودَةُ مِنْ دُونِ اللَّهِ -كَالْأَصْنَامِ- وَعَجَزَتْ عَنْ اسْتِنْقَاذِ مَا يَسْلُبُهُ الذُّبَابُ مِنْهَا، وَضَعُفَ الذُّبَابُ، وَضَعُفَ الْعَابِدُ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَضَعُفَ مَعْبُودُهُ، فَكَيْفَ يَعْبُدُ الْمُشْرِكُونَ مَا لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى خَلْقِ ذُبَابٍ، وَلَا عَلَى رَدِّ مَا اسْتَلَبَهُ مِنْهُ؟!

ما عَظَّمَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، وَلَا عَرَفُوا صِفَاتِ كَمَالِهِ حِينَ جَعَلُوا الْأَصْنَامَ الضَّعِيفَةَ شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَمْ يُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ! إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، مَنِيعٌ فِي مُلْكِهِ، غَالِبٌ وَقَاهِرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَقْدِرُ شَيْءٌ دُونَهُ أَنْ يَسْلُبَهُ مِنْ مُلْكِهِ شَيْئًا

اللَّهُ يَخْتَارُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا، كَالَّذِينَ يُرْسِلُهُمْ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَخْتَارُ مِنَ النَّاسِ أَيْضًا رُسُلًا يُبَلِّغُونَهُمْ وَحْيَهُ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، بَصِيرٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ يَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِنْ خَلْقِهِ اصْطِفَاءَهُ لِرِسَالَتِهِ.

قد أحاط الله تعالى برسله من الملائكة والناس علمًا، فلا يخفى عليه من أمورهم شيءٌ، وإلى الله وحده لا إلى غيره ترجع جميع أمور عبادِهِ، فيحكم بينهم يوم القيامة، ويجازيهم على ذلك. يا أيُّها الذين آمنوا، اركعوا واسجدوا لله في صلاتكم، وذلُّوا واخضعوا لرَبِّكم بطاعته، مُخْلِصِينَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، وافعلوا - أيُّها المؤمنون - أنواع الخيراتِ ممَّا أمَرَكم اللهُ به؛ لعلَّكم تفوزون بما تَرْغَبُونَ فيه في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَتَتَجَوَّنَ مِمَّا تَرْهَبُونَهُ.

جاهدوا - اللهُ وَمِنْ أَجْلِهِ - أَنْفُسَكُمْ، وَالشَّيْطَانَ وَالْكَفَّارَ وَأَهْلَ الظُّلْمِ وَالْهَوَى جَهَادًا؛ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ، مُسْتَقْرِغِينَ فِيهِ طَاقَتَكُمْ، اللهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَكُمْ -أيُّها المؤمنون - لِاتِّبَاعِ دِينِهِ، وَنَصْرِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَمَا جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ ضَيْقٍ وَعُسْرٍ وَمَشَقَّةٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ، بَلْ يَسَّرَ لَكُمْ هَذَا الدِّينَ غَايَةً التَّيْسِيرَ، وَوَسَّعَهُ كَمَلَّةً أَبْيَكُمْ إِبْرَاهِيمَ، اللهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْفُرْآنِ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقَةِ، وَسَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ أَيْضًا فِي هَذَا الْفُرْآنِ، اجْتَبَاكُمْ اللهُ وَفَضَّلَكُمْ، وَنَوَّهَ بِاسْمِكُمْ؛ لِيَكُونَ

الرَّسُولُ - الَّذِي هُوَ خَيْرُكُمْ - شَهِيدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَكُمْ رِسَالَةَ رَبِّهِ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ أَنَّ رُسُلَهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُمْ مَا أَرْسَلَهُمُ اللَّهُ بِهِ، فَقَابِلُوا تِلْكَ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ بِالْقِيَامِ بِشُكْرِهَا، فَأَقِيمُوا - أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ - الصَّلَاةَ لِلَّهِ بِحُدُودِهَا وَأَرْكَانِهَا، وَأَعْطُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ لِمُسْتَحَقِّيْهَا، وَثِقُوا بِاللَّهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ، وَاعْمَلُوا بِوَحْيِهِ وَتَمَسَّكُوا بِهِ؛ لِأَنَّهُ وَلِيُّكُمْ وَحَافِظُكُمْ، وَمُدَبِّرُ أُمُورِكُمْ، وَنَاصِرُكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى هُوَ سُبْحَانَهُ، وَنِعْمَ النَّاصِرُ.

ar10117v1.0 - 06/09/2026